مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد: 26 عدد: 5 (رت 67) السنة: 2022

الفلسفة الإتيقية عند كارل أوتو آبل

The Ethical Philosophy of Karl Otto Apel

بورزاق يمينة[1]
جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم
Yaminabourezak2018@gmail.com
أ.د بن دنيا سعدية
جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم
bendeniasaadia@yahoo.fr

تاريخ الوصول 2020/09/09 القبول 2022/01/20 النشر على الخط 2022/06/05
Received 09/09/2020 Accepted 20/01/2020 Published online 05/06/2022

ملخص:

تعدّ فلسفة كارل أوتو آبل من الفلسفات المهمة التي تعرف إهتماما ملحوظا في الأوساط الفكرية اليوم، خاصة بعد مشروعه التحويلي الذي شمل عدة جوانب فلسفية وفكرية مختلفة ومتباينة جعلت منها فلسفة قارية، ولعل الفلسفة الإتيقية تشغل حيزا واسعا من الإهتمام الفكري لآبل خاصة بعد إعادة قراءة الإرث الكانطي للأخلاق، وبعد دخول الإنسان الحديث متاهات أزمة سببها الإنسياق وراء البحث في العلل والأسباب للسيطرة على الطبيعة، وقد ربط آبل حديثه عن الإتيقا بجملة من المفاهيم الأساسية الراهنة التي تمثل حجر الزاوية في الفلسفة المعاصرة والمعيش اليومي للذوات، متمثلة في النقاش، التواصل، خطاب العلم، المسؤولية المشتركة وأهمها اللغة بما هي وسيط سواء في المجتمع التواصلي أو مجتمع العلم، فما هو مفهوم الإتيقا؟ وماهي الأسس والآليات التي طرحها آبل في التحول من الأخلاق إلى الإتيقا خاصة في عصر التقدم العلمي؟ وتعود أسباب معالجة هذا الموضوع إلى أهمية الطرح الإتيقي بالنظر إلى ما يعانية عالم اليوم من حروب وأزمات شوّهت حاضره وتهدد مستقبله، كما أدت إلى خلخة الأسس الأخلاقية والمعايير الأخلاقية التي عجّلت بضرورة عودة الإتيقا.

الكلمات المفتاحية: كارل أوتو آبل، الفلسفة التحويلية، الإتيقا، المناقشة، المسؤولية المشتركة.

Abstract:

Karl Otto Apel's philosophy is one of the important philosophies that knows a remarkable interest in intellectual circles today, especially after his transformative project, which included several different and disparate philosophical and intellectual aspects that made it a continental philosophy, and perhaps the ethical philosophy occupies a wide space of intellectual interest for Aple, especially after re-reading the Kantian legacy For ethics, and after modern man entered the mazes of a crisis caused by the compulsion behind the search for causes and reasons to control nature, Apel linked his talk about ethics to a set of basic current concepts that represent the cornerstone of contemporary philosophy and the daily life of the subjects, represented in discussion, communication, discourse of science, Shared responsibility, the most important of which is language, as it is a mediator, whether in the communicative society or the science community, so what is the concept of ethics? What are the foundations and mechanisms that Aple has put forward in switching from ethics to etiquette, especially in the era of scientific progress? The reasons for dealing with this issue are due to the importance of the ethical discourse, given the wars and crises in the world today that distort its present and threaten its future, as well as lead to loosening the moral foundations and ethical standards that hastened the necessity of the return of ethics.

Keywords: karl Otto Apel, Transformational Philosophy, Ethics, Discussion, Shared Responsibility.

[1] المؤلّف المراسل: **بورزاق يمينة** البريد الإلكتروني: **yaminabourezak2018@gmail.com**

مقدمة:

عقب الثورة الفكرية التي قادها رونيه ديكارت خلال الفترة الحداثية والتي كللت بالخلاص من القيود اللاهوتية والفكر الكنسي معلنة حرية الذات وحرية الفكر، فتح المجال واسعا أمام مفكرّي وفلاسفة الأنوار والحداثة لمعالجة مختلف الإشكاليات والمسائل الفلسفية على رأسها الأخلاق كإشكالية مهمة أين نجد اسم الفيلسوف الألماني إمانويل كانط الذي كتب كثيرا عنها في ميتافيزيقا الأخلاق، حيث تمثل محاولته هاته في تعمم النموذج الأخلاقي القائم على قاعدة كونية ثابت تخضع لها الأنا بناء على الإلزام الأخلاقيّ والإرادة الخيّرة لها، حيث أصبحت فلسفته الأخلاقية رافدا أساسيا تأثّر بها الكثير من الأسماء على سبيل المثال لا الحصر مواطنه المعاصر كارل أوتو آبل الذي استفاد كثيرا من الطرح الكانطي الترنسندنتالي جامعا إياه بتيارات فلسفية معاصرة بعد أن وقف على مكمن النقص فيه، ومن خلال ما تقدم ستعالج هاته الورقة البحثية موضوع التحول الفلسفي الإتيقي في الفلسفة المعاصرة بناءا على الإشكال التالي: ما مفهوم الإتيقا في الفلسفة المعاصرة؟ وكيف جسّد آبل التحول الفلسفي الإتيقي راهنا؟ بالاعتماد على المنهج التحليلي الذي يساعد على تحليل الأفكار الفلسفية التي صاغها آبل في هذا السياق، والمنهج النقدي خاصة في نقد كارل أوتو آبل للأفكار الكانطية حيث سنحاول في هذا المقال إبراز الفوارق بين الموقف الفلسفي لكانط وآبل، ومدى حاجة المجتمعات البشرية اليوم لآلية من شأنها المساهمة في انسيابية النقاش والتواصل خاصة أن ما تعانيه مجتمعات اليوم مشكل تواصلي بدرجة أولى.

1- الأخلاق من منظور كانطي:

تعتبر الكتابات الفلسفية خلال الفلسفة الحديثة لكانط مرجعا أساسيا ومهما في الفلسفة المعاصرة، خاصة تلك التي وجهها للإشكالية الأخلاقية والمرتبطة أساسا بفكرة الواجب، الإلزام الأخلاقي، ومشروع السلام الدائم، وهذا نظرا لأهميتها، فالأخلاق مرتبطة بالوجود الإنساني متمثلة في السجايا والطباع مثل الحرية ، الحب، الخير، العدل والمساواة التي يتحلى بها كل فرد، فلا يخلو أي بحث فلسفي اليوم من مرجعيات وأفكار ذات صبغة كانطية محضة، لأنها فلسفة تناشد القلب ضد أوامر العقل النظري الباردة"[11]،سعيا منه في أن تصبح هاته الأخلاق سندا قانونيا تعتمد عليه الأمم جميعها تحت مظلة السلام الدائم، وقد خص كانط إشكالية الأخلاق باهتمام كبير حيث قدم في كتاب ميتافيزيقا الأخلاق أهم آراءه وأفكاره الأخلاقية، والتي استهلها بسؤال أساسي يبحث فيه عن أصل القواعد الأخلاقية قائلا: أليس من الصواب أن يكون من أهم وأشد المسائل إعادة بناء فلسفة أخلاقية مفرغة كليا من كل ماهو تجريبي، وخالية مما يتصل بعلوم الإنسان؟،مشيرا إلى ضرورة التخلي عن القول بإمكانية بناء الأخلاق على التجربة، " لأنها لا تعطينا شيئا شاملا وضروريا"[2]، فالأخلاق "عقليّة ترى في العقل جوهر الإنسان الحقيقي (...) وهي مقترحة لأن تكون أخلاقا للجميع"[3]، ونظرا لأنه فيلسوف ذو نظر عقلي عمل على بيّن أن "جميع التصورات الأخلاقية تحتل مكانها وتستمد

[1] برتراند راسل، تاريخ الفلسفة الغربية الحديثة – الكتاب الثالث- تر: محمد فتحي الشنيطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د.ط)، 1977، ص 316.

[2] جيل دلوز، فلسفة كانط النقدية، تر: أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ، ط1، 1997، ص21.

[3] عزت قرني، الفلسفة اليونانية حتى أفلاطون، جامعة الكويت، الكويت، (د.ط)، 1993، ص149.

أصلها بصفو أولية تماما في العقل، وتوجد القيمة الأخلاقية فقط عندما يفعل الشخص عن إحساس بالواجب"[1]، رابطا الأفعال الأخلاقية بمصدرها العقلي.

عاد كانط في محاولته لتأسيس قانون أخلاقي عام وكلي إلى الإرادة الفردية، أو إرادة الأنا ، حيث أكد أن الوصول إلى هذا القانون يستلزم تطبيق المسلّمة التي تقول"إن كل إنسان لا بد له أن يسلم بأن قانونا يراد له أن يكون قانونا أخلاقيا، أعني قاعدة إلتزام، لابد أن يحمل طابع الضرورة المطلقة، وأن الوصية التي تقول: ينبغي ألا تكذب لا يمكن أن تكون صلاحيتها مقصودة على بني الإنسان وحدهم(...)"[2]، فهو بهذا لا يستثني مجموعة أو أخرى إنما يسعى لتحقيق"إتفاق الناس قاطبة على أن يكون لدينا قيمة أخلاقية (...) ينبغي أن يتضمن القانون الأخلاقي في ذاته ضرورة مطلقة"[3] يعمل جميعه وفقا لقواعده ومبادئه العامة، فإذا كانت الأخلاق الكانطية أخلاق غائية فإن الإتيقا المعاصرة هي إتيقا " واجباتية، أي متميزة عن كل إتيقا نفعيّة أوغائيّة أو أكسيولوجيّة لحياة طيّبة على النمط الأرسطيّ"[4] .

ونظرا لما عايشه الإنسان المفكر خلال الحداثة الغربية من إنفتاح فكري وذاتية مفرطة أغرقته في الأنانة Solipsisme، مما فتح أسوار أزمات نتيجة ذيوع الذاتية والحضور الواحدي للذات، العدمية وغياب مرجعية دينية أو أخلاقية تستند إليها هذه الذات بحكم أنها أضحت المشّرع، والعلموية وشيوع الرغبة في السيطرة وامتلاك التقنية تأسيسا للفردوس الأرضي، "فالحداثة هي أولية الذات، انتصار للذات، ورؤية ذاتية للعالم"[5]، وبالتالي شغلت الذات النقاشات المركزية في الفكر الحديث الذي أصبحت "فيه الحياة الدينية والدولة والمجتمع وكذا العلم والأخلاق والفن تبدوا جميعا كتجسيد لمبدأ الذاتية، هذا المبدأ الذي يظهر كذاتية مجردة في الكوجيتو الديكارتي أو الوعي الذاتي المطلق لدى كانط"[6] لذا نجد أن فلسفة كانط على الرغم من أنها رافد أساسي إلا أنها تعرضت للنقد من قبل فلاسفة ما بعد الحداثة أمثال كارل أوتو آبل الذي سوف نعمل على تقديم موقفه الفلسفي من هذا التحول الإتيقي من أخلاق الأنا إلى إتيقا تذاوتية ترسم الأطر والقواعد العامة لكل فعل أخلاقي .

2- الفلسفة الإتيقية التحويلية:

تعد الإتيقا الدراسة النظرية لكل ما هو أخلاقي، حيث تعمل غلى البحث في المبادئ وبلورة القواعد التي من شأنها الحفاظ على الطابع الخلقي ومعيارية الفعل الأخلاقي، وقد تزامن الحديث عنها وإعادة فتح الملفات الإتيقية في الفلسفة المعاصرة عقب نهاية الأخلاق، النهاية التي أقرّها إمانويل كانط. خلال الفلسفة الحديثة، فالإتيقا éthique فهو مصطلح "ذو أصول إغريقية تنحدر

---

[1] برتراند راسل، تاريخ الفلسفة الغربية الحديثة – الكتاب الثالث–، مرجع سابق، ص 323.

[2] إمانويل كانط، نقد ميتافيزيقا الأخلاق، مرجع سابق، : عبد الغفار مكاوي، منشورات الجمل، كولونيا، ألمانيا، ط1، 2002 ، ص26.

[3] جميلة حنيفي، يورغن هابرماس من الحداثة إلى المعقولية التواصلية، الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية، الجزائر، 2006، ص201.

[4] محسن الخوني، كونية الإتيقا من كانط إلى هابرماس وآبل، مجلة أوراق فلسفية، القاهرة، العدد 23، 2009، ص 37.

[5] محمد الشيخ، ياسر الطائري، مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة حوارات منتقات من الفكر الألماني المعاصر، دار الطليعة للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1996، ص 12.

[6] علي عبود المحمداوي، الإشكالية السياسية للحداثة من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل هابرماس أنموذجا، منشورات الإختلاف، الجزائر، دار الأمان، الرباط، ط1، 2011، ص105.

من كلمة Ethos التي تعني العادات، سيرحياة، وقواعد السلوك. لهذا فإنه يشترك مع مصطلح أخلاق(Mos-Mores)"[1]، ومفهوم الإتيقا "بما هو بحث في التّأصيل الفلسفي واستكشاف لعلوم الإنسان المتعلّقة بالقيّم السلوكية مفهوم قديم يمتد بجذوره إلى أفلاطون وأرسطو(...) ولكنّ الّذي تغيّر هو طبيعة المقاربة المعاصرة لهذه المسألة جرّاء التراكمات المعرفيّة والتعقيدات البنيويّة التي عرفتها المجتمعات المعاصرة (...). لذا فالإيتيقا تبدو أن مجال انهمامها هو الجهد النظريّ المبذول لبلورة المبادئ التي تنظّم علاقاتنا مع الآخرين"[2] في المجتمع، ويمثّل التفّكير في "الإتيقا كيفيّة في تمثّل الإنسان أكسيولوجيا وبالتّالي تأكيد انتماء هذا المبحث إلى مجال الفلسفة العمليّة الّتي تعنى بالفعل الإنساني في الحياة الفعليّة (...)"[3]المقترنة بالتجربة الحيّة والمعاشة، خاصة وأن ما يحتاجه الإنسان هو إتيقا" تقوم على الإستقلاليّة الذاتيّة للكائن الإنسانيّ الحرّ. الّذي يمارس مواطنته الكاملة ويتوفّر على كامل حقوقه"[4] ، التي تجمع في طياتها بين الحرية والكرامة.

مع بداية المرحلة مابعد الحداثية ظهر مايعرف بالكانطية الجديدة التي تأثرت بفلسفة كانط بشكل كبير، وبالمقابل سعت إلى تمحيص وتحيين هاته الفلسفة بالخروج عن مبدأ الذات أو الأنانة، السعي إلى عودة مرجعية تستند إلها الذوات،حيث كانت عودت هذه الثلة من الفلاسفة إلى كانط نظرا إلى كتاباته النقدية العميقة وبعيدة النظر، نجد من أبرزهم "جون راولز في أمريكا صاحب نظرية العدل(...) وكارل أوتو آبل karl otto apel ويورغن هابرماس jurgen habermas اللذين أعادا صياغة النظرية الأخلاقية الكانطية في ثوب جديد أطلقا عليه : أخلاق المناقشة"[5]، بناءا على قيم التواصل والحوار والنقاش بين الأفراد كافة، بعد الوضعية الأزمة التي اصطلح عليها نيتشه مصطلح العدمية، والذي أراد بهذا "إخضاع العقل المتمركز على الذات للنقد والمراجعة في محاولة لإنقاذ مشروع هيجل والتنوير(...)"[6]، وتعني العدمية "لا قيمة للقيم، أي أن ماكان في العصور السالفة مبادئ راسخة وثابتة ومثل عليا سامية، صار مع مجيء الحداثة عدما أفقد القيم من كل معنى حقيقي"[7]، وهذا يرجع إلى الإصلاح الديني الذي أعلى سلطة الذات وجعلها منبعا لجميع المبادئ والمعايير مما أفقد لإنسان سكينته، وقد لاحظ نيتشه أن الفلسفة الحديثة على الرغم من مجموع التغيرات التي طرأت عليها إلا أنها إستمرت في "البحث عن قيم جديدة تعوض بها القيم المنهارة، نتيجة أفول عالم

[1] مختار غريب، البيوإتيقا بين البيوتقنية والمبادئ الإتيقية، إبن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، دار الروافد الثقافية، بيروت، ط1، 2018، ص 62.

[2] يورغن هابرماس، إتيقا المناقشة ومسألة الحقيقة، تر: عمر مهيبل، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص 07. (أنظر مقدمة المترجم).

[3] سامي غابري، المسألة الإتيقية من خلال كتاب بول ريكور عين الذات غيرا، دار الخليج للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2016، ص111.

[4] عبد العزيز بومسهولي ، نهاية الأخلاق أو الإنعطاف نحو المبدأ الإتيقي المحايث، دار الحرف للنشر والتوزيع، المغرب، ط1، 2009، ص108.

[5] بليمان عبد القادر، الأخلاق المعاصرة وصراع المرجعيات، بين الكانطين الجدد والأرسطيين الجدد، مجلة أوراق فلسفية، مصر، العدد 26، 2009-2010، ص ص 233-234 .

[6] جميلة حنيفي، يورغن هابرماس من الحداثة إلى العقلانية التواصلية، مرجع سابق، ص44.

[7] محمد الشيخ، ياسر الطائري، مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة حوارات منتقات من الفكر الألماني المعاصر، ص14.

الآلهة وإحساس الإنسان الحديث بالتقلب والتبدل الدائمين وفقدانه لمرجع ثابت يستند إليه"[1]، وهذا المرجع هو الدين حيث أصبحت الذات هي المشرّع.

قدّم كارل أوتو آبل جملة من الإنتقادات إلى الأخلاق الكانطية اقتداء بما قدمه هيجل بخصوصها، حيث يرى آبل أن "العيب الأساسيّ لكل النّظريات الماضية أنّها كانت ضرب من المناجاة الذّاتية، بكلمة أخرى كانت جميعا نتيجة لتأملات فكريّة فرديّة، تأمّل المفكر المنعزل للمبادئ الأخلاقيّة"[2]، وأول الإعتراضات تمثلت في أن أخلاق كانط هي أخلاق صورانية "فالقانون الأخلاقي لا يكون كونيا، وأهلا لقيادة الكائنات العاقلة إلا إذا كان قانونا صوريا ومفرغا من كل مضمون مادي أو تجريبي"[3]، ومعناه أن كانط لا يعترف بالتجربة المعاشة للذوات والتي تلعب دورا هاما في تأسيس الأخلاق، أما الانتقاد الثاني فقد تمثل في الاعتراض على صرامتها في الإقناع، فهي أخلاق " لا تأخذ بعين الاعتبار النتائج والآثار الجانبية"[4]، بالتالي فهي تلغي الصالح العام، مكرسة الأنانة على عكس ما تنادي به لأن آبل آمن بتأثره بكانط "بوجود عقل عملي ولكن عقل عملي غير منفرد باقتناعاته الذاتية وغير متقوقع إلى حد الأنانة (solipsisme)"[5]، لهذا توجه آبل من خلال مشروعه في إتيقا النقاش الذي جمع فيه بين ما هو نظري (النقاش) وما هو عملي (الإتيقا) بهدف صياغة مبدأ الكونية بالتركيز" على النتائج لصالح كل المشاركين المعنيين انطلاقا من ملاحظة كونية للمعيار"[6]، ومعنى هذا أن المشروع الآبلي المعنون بإتيقا المناقشة هو سعي حثيث في جعل هذه الإتيقا "تتخذ بعدا شموليا وكونيا، لأنها تستند على مبدأ الاعتراف المتبادل الذي تفرضه كل مناقشة عمومية، وبالتالي فهي تفتح إمكانيات متعددة أمام فرص الوصول إلى الحقيقة الإجمالية في إطار التفاهم الحواري المسؤول"[7] ، من أي ضغط كان حتى نسير نحو تفاهم جيد لتواصل أفضل.

أضاف كارل أوتو آبل في حديثه عن الإتيقا مجموعة من القيم التي من شأنها أن تساعد الذات في " تجاوز المأزق الحداثوي، والتي كانت كدعامة له نجد التضامن، والمسؤولية المشتركة التي لا يكفيها " بأن تجعل كل فرد يفكر بمعزل عن الآخرين في النتائج المرتقبة للأفعال"[8]، ولنتائج الخطابات التواصلية، كما وضّح آبل أيضا "أن الكائنات البشرية تعرف كيف تفرق بين النتائج المرغوبة والنتائج

---

[1] المرجع نفسه، ص14.

[2] رومان س. ريس، أخلاقية النقاش عند كارل أوتو آبل، تر: عبير سعد عبد العظيم ، ضمن: مجلة أوراق فلسفية، مصر، العدد 23، 2009، ، ص 93.

[3] جميلة حنيفي، يورغن هابرماس من الحداثة إلى العقلانية التواصلية، مرجع سابق، ص203.

[4] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[5] محمد بكاي، أرخبيلات مابعد الحداثة رهانات الذّات الإنسانية: من سطوة الإنغلاق إلى إقرار الإنعتاق، دار الرافدين، بيروت، opus publishers، كندا، ط1، 2017، ص 260.

[6] جميلة حنيفي، يورغن هابرماس من الحداثة إلى المعقولية التواصلية، مرجع سابق، ص203.

[7] عبد العزيز بومسهولي، نهاية الأخلاق أو الإنعطاف نحو المبدأ الإتيقي المحايث، مرجع سابق، ص 109.

[8] محمد بكاي، أرخبيلات مابعد الحداثة رهانات الذّات الإنسانية: من سطوة الإنغلاق إلى إقرار الإنعتاق،مرجع سابق، ص262

غير المرغوبة لأفعالها، وأن أي خلاف حول تقييم النتائج لا ينبغي أن يؤدي إلى أية مشكلة (....)"[1]، منطلقا من تحليل الواقع المجتمعي وتداعيات "التقنية ورهان التكنولوجيا والظروف الإجتماعية المعقدة في حياة الإنسان المعاصر الخاصة، وضرورة احتساب المسؤوليات المرتبطة بنتائج اختياراتنا وأفعالنا المختلفة"[2] ، خاصة بالنظر إلى المعيش الراهن الذي يستوجب خلق حيّزا أخلاقيا يتضمن "الإحساس بالمسؤولية تجاه الآخرين، أو الأقران الذين يحتاجون إلى المساعدة، فهي مسؤولية لا يمكن التملص منها طالما هناك آخر بكل بساطة"[3]، بدلا من الإنكباب والتقوقع على الذات والأنانة الفردية.

دعا آبل من خلال مشروعه الإتيقي إلى عقلنة العلم وتأطير الأفعال المترتبة عنه من خلال إشكال أساسي تمثل في لماذا نكون أخلاقيين؟ حيث بين ضرورة الإتيقا كدعامة من شأنها تفادي الإنزلاقات والهلاك، بعد تحليله لمعطيات الراهن الإنساني الذي رآى آبل أنه "يمثل مشكلة أخلاقية للإنسان في ذاته (...) حالة الإنسانية اليوم ولا سيما التحدي الذي يشكله لأسباب إتيقية خطر الحرب الإبادة النووية، أو ربما أكبر من من تدمير المحيط الحيوي والمحيط البيولوجي البشري"[4] ، لهذا بحث آبل في علاقة العلم بالإتيقا أو الأخلاق النظرية حيث بيّن آبل أن "أي شخص يفكر في علاقة العلم والأخلاق في المجتمع الصناعي الحديث وفي زمن العولمة يواجه ضغطا متناقضا، من جهة لم تكن الحاجة إلى إشراك المجتمع البشري ككل، أكثر إلحاحا مما هي عليه اليوم فهي ضرورية من خلال التداعيات التكنولوجية للعلم، ودعوتها إلى إنشاء مجتمع إنساني واحد، ولكن من ناحية أخرى، فإن المهمة الفلسفية المتمثلة في تأسيس إتيقا كونية وعقلية للمسؤولية صعبة ومستحيلة في العصر العلمي هذا، والسبب في ذلك هو حقيقة أن فكرة الصلاحة التذاوتيةlavalidité intersubjectivité مشروطة بالعلم وبصورة أخص بالتصور العلموي للموضوعية التي تستبعد كل معيار وكل قيمة"[5]، وعلى الرغم من بحثه المستفيض في كتابه المعنون بالنقاش والمسؤولية la discussion et la responsabilité في جزأين رأى آبل بوجود استحالة للتوصل إلى إجابة كافية للإشكال الذي طرحه ، وتعود الاستحالة التي صرّح آبل عنها "الموقف العلمي الذي يظهر في موقفين أساسيين، الأول هو الماركسية التي تدعي القدرة على التنبؤ بالمستقبل وتختزل الإتيقا في التحقيق العملي للضرورة التاريخية بعد أن يتحقق بها الوعي على الوجه الأكمل ، والثاني هو العلم الذي يحشر كل ما يتعلق بالإتيقا في مجال اللامعقول والاختيارات الفردية الاعتباطية، ونتيجة لذلك يفتقد كل مقياس موضوعي يسمح بتحديد الغايات المنشودة للنشاط الإنساني"[6] ، وفي "أي حال، قبل أي تحليل أو تبرير فلسفي للمفاهيم مثل مفاهيم الإتيقا

---

[1] كارل أوتو آبل، التفكير مع هابرماس ضد هابرماس، تر: عمر مهيبل، ، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، منشورات الإختلاف، الجزائر المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2005، ص ص49.50.

[2] محمد بكاي، أرخبيلات مابعد الحداثة رهانات الذّات الإنسانية: من سطوة الإنغلاق إلى إقرار الإنعتاق، مرجع سابق، 253.

[3] المرجع نفسه، ص40

[4] Karl Otto Apel, discussionet responsabilité01, l'éthique après kant, traduit de l'allemand par : Christian Bouchindhomme, Marianne Charière, et Rainer Rochlitz, les éditions de cref , 1996, p15.

[5] Karl Otto Apel,sellected essay volume tow : Ethics and theory of rationality, edited and introduced bay Eduardo Mendieta, library of congress calaloging, U.SA,1996, p01.

[6] منيرة بن مصطفى حشانة، إتيقا الخطاب والمسؤولية بين التأسيس المتعالي والتطبيق العملي، ضمن: مجلة أوراق فلسفية، مصر، العدد 23، 2009، 2009، ص 86.

والمسؤولية يمكن للمرء أن يصف الجدة المتأصلة في الوضع المعاصر أو الراهن للبشرية بحجة أن المشكلة الجديدة سوف تكمن بالتالي في تأسيس إتيقا كبرى أو ماكروإتيقا"[1] ، مشيرا أن الحديث عن هاته الإتيقا كان نتيجة "ظاهرة اللاتزامن في المجالات المختلفة بالنسبة للتطور السوسيو/الثقافي بصفة أكثر مما هو عليه في مجال الأخلاق التقليدية، خاصة إذا قارناها بالمتطلبات الفعلية المتعلقة بالمسؤولية العامة والمشتركة إزاء العواقب الكونية الناجمة عن الأفعال الإنسانية أو واجهناها بها"[2] ، وفي طرحه حول الأخلاق ما بعد الكانطية انتقل من مصطلح الأخلاق التي رأى أنها عملية لا تزال تنحصر في العلاقات الإنسانية الضيقة، إلى مصطلح الإتيقا لاحتوائه على طابع كوني، شمولي، و أيضا نظري، انطلق فيه "من الوضع الإتيقي الراهن، مؤكدا على النتائج السلبية للعلم والتقنية، فالوضع الإنساني الراهن بكل ما يحمله من أخطار هو التحدي الإتيقي الأساسي أمام الفكر الفلسفي ذلك أن المعايير والقيم والمؤسسات التقليدية لم تعد قادرة على تحمل هذه المسؤولية الجديدة"[3] والتي لا يمكن التأسيس لها إلا " بتجاوز تلك الفجوة بين الاخلاق في شكلها التقليدي والإتيقا المؤسسة على مبدأ البرهان، وذلك التباعد بين العالم النسقي الجامد للإقتصاد والعالم الحيوي المعيش وبين علوم الطبيعة وما تحمله من حياد أكسيولوجي، والمسؤولية الاجتماعية والإنسانية الناشئة عن مختلف تطبيقاتها"[4] في الواقع اليومي والمعاش.

3- في علاقة الإتيقا بمشروع كارل أوتو آبل في النقاش:

لقد وضع آبل خيطا رابطا بين الآلية التواصلية التي تعكس الحلقة الحوارية في شكلها التخاطبي بين الذوات(المناقشة)، والإتيقا بما هي فلسفة تدعوا للعيش معا، خاصة بعد التحول الإتيقي والفلسفي الذي جمع في ثناياه الخطوط الواسعة للإتيقا المعاصرة وعلاقتها باللغة، التداولية، الحوار والتواصل، والتي "لا تتأسس على إمتلاك الوجود، وإنما تتأسس على تحرير الكائن من هيمنة الإستحواذ التي يعد هذا الكائن بموجبها ضحية ميتافيزيقية لأي مشروع أنطوتيولوجي يصيره مجرد وسيلة لا غير"[5] ، فلا يمكن أن نحدد علاقة الإتيقا بالنقاش دون أن نشير إلى التحول الذي عرفته الفلسفة المعاصرة عقب المنعطفات التي عرفتها (المنعطف اللغوي، البراغماتي، الأنطولوجي والسيميوطيقي) فقد بيّن كارل أوتو آبل في كتابه العمدة تحويلة الفلسفة la transformation de la philosophie أن "تعبير تحويل الفلسفة ينضوي على عنصر الغموض والإلتباس، لأنه من جهة يشير إلى التحولات التي عرفتها الفلسفة عبر تاريخها الطويل، ومن جهة أخرى وبالنظر إلى المشروع النسقي بوصفه مقاربة تاريخية، فإن هذا العمل يشير بصفة خاصة إلى التحويل الذي عرفته فلسفة القرن العشرين، بالتأكيد خاصة على الدور الذي لعبه المنعطف اللغوي، حيث ركز آبل على ثلاث تيارات فلسفية أساسية تمثلت في تداولية فيتجنشتاين، تأويلية هيدغر، وسيميوطيقا بيرس"[6] مغيّرا المسار الفلسفي

---

[1] Karl Otto Apel, discussionet responsabilité01, Op.cit, p15.

[2] كارل أوتو آبل، إشكالية إتيقا كبرى وكونية للمسؤولية المشتركة، مصدر سابق، ص 5.

[3] منيرة بن مصطفى حشانة، إتيقا الخطاب والمسؤولية، بين التأسيس المتعالي والتطبيق العملي، مرجع سابق، ص86.

[4] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[5] عبد العزيز بومسهولي، نهاية الأخلاق أو الإنعطاف نحو المبدأ الإتيقي المحايث، مرجع سابق، ص 12.

[6] Karl Otto Apel, la transformation de la philosophie 02, , traduits sous la direction de Pol Vandevelde, les éditions du cref, paris, 2010, p p 09,10.(voir l'introduction).

من براديغم الوعي، إلى براديغم اللغة، فاللغة هي المنعطف المصاحب لفكر آبل في صيغتها البراغماتية، وكانت آراءه حولها ذات بعد "تداولي انعكس في التواصل والإتيقا والحجاج والمعرفة وكشف الحقيقة والمعنى (..) اللغة الأداة المحورية التي يجب أن توكل إليها مهمة تأسيس أخلاقيات الحوار والتواصل، عبر التوظيف والتأسيس لعقلانية تواصلية تنظر إلى اللغة لا باعتبارها وسيلة للبيان أو التصوير، إنما يجب النظر إليها من جهة مهمتها التداولية وعمقها التواصلي(...)" [1] ، الذي يمثل انفتاحا على الآخر.

وفي ربطه بين العقل النظري والعملي، وعقب الانتقادات التي وجهها لأخلاق كانط العقلية، وفي مشروعه الإتيقي الخاص بالنقاش رأى كارل أوتو آبل أن نجاح المناقشة إنما يعود إلى تطبيق المبدأ الإتيقي الذي يحفظ لجميع المشاركين الحق في الإدلاء بآرائهم حول الفكرة موضع النقاش مجسّدين العلاقة بين الأنا والآخر، بناء على الاحترام والاعتراف المتبادل كما هو عليه في واقع الأمر، رغبة منهم في التوصل المشترك إلى امتلاك الحقيقة، "فالأهم ليس ما أدعيه أنا وأنت من حقائق، بل ما نستطيع الوصول إليه معا ونتفق عليه بشأنها. إذن الحوار والنقاش هما من شروط الوصول إلى الحقيقة المكللة بقبول واعتراف جماعي"[2] فالتأسيس "الفلسفي والعقلاني (...) لمبدأ الأخلاق(...) ينبغي أن يستبدل باللجوء إلى أخلاقية النشاط التواصلي في العالم المعيش كما تشتغل في الواقع"[3] ،فيما يرى آبل، وخلال مشروعه الإتيقي هذا حاول تجاوز نقاط القصور في الأخلاق الكانطية التي نادى فيها كانط "بعقل عملي فطري وما قبلي معوّضا هذه الأفكار المتمركزة على الذات بالأنموذج التداولي المستند إلى الحوار والحجاج والبحث المشترك عن الحقيقة"[4] التي يدعوا إلى ضرورة التوصل إليها إجماعا، بخلاف الموقف الكانطي الذي يعتمد على إرادة الذات الذات وموقفها فقط.

رأى آبل في فلسفته الإتيقية أن إتيقا المناقشة أوإتيقا النقاشDiskursethik كنظرية "مرتبطة بفلسفة التواصل وهي أخلاق إجرائية لا تدعوا إلى مضامين بعينها بقدر ما تنير الطريق للوصول إلى أجرأة سليمة بشأنها(...) فلفظة Diskurs تعني النقاش والمناقشة وليس الخطاب discours كما يتبادر للذهن"[5] ، ويمكن تعريفها بأن "للعقل بنية منطقية تتيح اعتماد البرهان كضرورة لأي تأسيس أو تعقيد لما يختاره الإنسان من نظم"[6] ،من شأنها تفعيل العلاقات في مجتمع التواصل. ومن "السمات الأساسية لنظرية التواصل العقلاني ضرورة الحوار لكونه مفيد للإنسان في كل مجالات الحياة المختلفة (...) والحوار بهذا المعنى ضروري له مع الأخرين كما مع نفسه، كما تتحسن وتتنمى هذه الحدسية التواصلية الموجودة والكامنة ضمنيا وأصلا في كل إنسان بإنتمائه اللغوي والثقافي، لكن يجب إخضاعها للعقلانية النقدية"[7]، في إطار تواصل بينذاتي، رسم آبل في طرحه حول الإتيقا الجديدة الخاصة بالنقاش والحوار جملة من الأهداف، أهمها أن هذه الإتيقا يجب أن تعزز مهمتها المتعلقة بـ "تأسيس شكل إجرائي يسهل

---

[1] علي عبود المحمداوي، الإشكالية السياسية للحداثة، من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل هابرماس أنموذجا، مرجع سابق، ص 208.

[2] محمد بكاي، أرخبيلات مابعد الحداثة رهانات الذّات الإنسانية: من سطوة الإنغلاق إلى إقرار الإنعتاق، مرجع سابق، ص257.

[3] كارل أوتو آبل، التفكير مع هابرماس ضد هابرماس، مصدر سابق، ص ص 41،42.

[4] محمد بكاي، أرخبيلات مابعد الحداثة رهانات الذّات الإنسانية: من سطوة الإنغلاق إلى إقرار الإنعتاق، مرجع سابق، ص 253.

[5] حسن مصدق، يورغن هابرماس مدرسة فرانكفورت النظرية النقدية التواصلية، مرجع سابق،ص 14 (نظر المقدمة).

[6] محمد بكاي، أرخبيلات مابعد الحداثة، رهانات الذات الإنسانية من سطوة الإتغلاق إلى إقرار الإنعتاق، مرجع سابق، ص255.

[7] حسن مصدق، يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت النظرية النقدية التواصلية، مرجع سابق، ص 142.

إنسيابية النقاش والحوار بغرض الوصول إلى نتائج محددة تلّخص في قرارات مع ملاحظة في غاية الأهمية، وهي أن هذا النقاش نقاشا حقيقي، واقعي، يدور حول مصالح حقيقية تمس حياة البشر كما هي متجلية في واقعهم الإجتماعي والتاريخي (...)[1] ، بعد أن بسطت التقنية سيطرتها على مجالات المجتمع ككل عامة والذات الإنسانية على وجه الخصوص.

وبالعودة إلى الأخلاق الكانطية التي كانت الأرضية الأساس لانطلاقة كارل أوتو آبل في مشروعه الإتيقي، خصّ كانط أخلاقه بجملة من الخصائص وجهتها لأن تكون أخلاق واجباتية وكونية، ومثلها اتسمت إتيقا النقاش بخاصية الواجباتية، المعرفية-الإدراكوية، وصورية، وأيضا الكونية، وتظهر الخاصية الواجباتية لها في "كونها تولى مسائل العدالة أو الإنصاف أهمية، حيث تعالج الصراعات سواء بين الأفراد أم الجماعات بالاستناد إلى معايير صالحة يتم على ضوئها تبرير الأفعال (...)، أما خاصيتها المعرفية-الإدراكوية فتتمثل في كون النزاهة المعيارية تمثل زعما للصلاحية مجانسا للحقيقة الفيزيائية. ويعني هذا أن الحقيقة الأخلاقية المتعلقة بالقضايا الواجباتية موجودة وهي مختلفة عن الحقيقة التقريرية المتعلقة بالقضايا الوصفية (...) "[2] ، بالإضافة إلى الخاصية الصورية فتختص بتبرير الحكم الأخلاقي الذي يهدف الأفراد إلى وضعه بعد الإتفاق عليه، وهاته الخصائص تساهم بشكل كبير في أن تصبح إتيقا المناقشة إتيقا كونية، لأنها "تؤكد أن هذا المبدأ الأخلاقي أو ذاك لايعبر فقط عن حدوس ثقافية معينة خاصة بمجتمع معين، أو طبقة معينة، أو عرق معين، أو جنس معين في فترة محددة من الزمن، بل يكون ذا صبغة كونية"[3]، تسعى لخلق التعايش والانفتاح بين الذوات في العالم بأسره.

وفي ختام هاته الورقة البحثية يمكن أن الإتيقا أو ما بعد الأخلاق قديمة من حيث الطرح معاصرة من حيث التناول والمعالجة، وهي إشكالية أساسية في فلسفة مابعد الحداثة، حيث أسهب الكثيرين قبل آبل في هذا الموضوع أمثال هيدغر، غدامير، لفيناس، ريكور، وزميله هابرماس، لكن حاجة المجتمعات الماسة إليها اليوم بعد إعلان نهاية الأخلاق مع كانط كبيرة أين وجد إنسان اليوم نفسه يتخبط في براثن التقنية والأداتية، وظهور هوّة بين التقدم العلمي الذي عرف تدفقا سريعا، والأخلاق التي انحصرت في طابعها التقليدي مع كانط، فعلى هذا الأساس عمل آبل على إعادة فتح الملف الإتيقي لتحقيق التوازن بين العلم والإتيقا تفاديا للتجاوزات والإنزلاقات الكثيرة التي حدثت اتجاه البشرية كتفجيرات هيروشيما ونكازاكي النووي عام 1945. ومن أهم ما توصلنا إليه من نتائج نجد:

- يعد حضور كانط الفلسفي مهما وأساسيا في فلسفة آبل الذي أعاد تمحيص أفكاره بعد جملة من الانتقادات خاصة تلك المتعلقة بالأنا وحدية، والإرادة الفردية.

- عمل آبل على تحويل مسار الفلسفة من المسار العقلي إلى المسار اللغوي الذي دمجه بالمجال الإتيقي من خلال مشروعه في إتيقا المناقشة.

- عقب الأزمات التي عرفتها الفلسفة الحديثة قدم آبل حلولا للخروج منها فبدل الذاتية، العدمية، العلموية، إقترح آبل التذاوت، الإتيقا، المسؤولية المشتركة.

---

[1] كارل أوتو آبل، التفكير مع هابرماس ضد هابرماس، مصدر سابق، ص 20.

[2] جميلة حنيفي، يورغن هابرماس، من الحداثة إلى المعقولية التواصلية، مرجع سابق، ص 210.

[3] المرجع نفسه، ص 210، 211.

- المشروع الإتيقي يسعى لكوننة قيم النقاش والحوار والتواصل، العدالة، التضامن وكذا المسؤولية الكونية، تحقيقا للعيش المشترك للإنسانية جمعاء.

قائمة المراجع:

1. دلوز ، ج. (1997). فلسفة كانط النقدية. بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
2. راسل ، ب. (1977). تاريخ الفلسفة الغربية الحديثة – الجزء الثالث –. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، .
3. كانط ، ا. (2002). نقد ميتافيزيقا الأخلاق. كولونيا : منشورات الجمل .
4. قرني ، ع. (1993). الفلسفة اليونانية حتى أفلاطون. الكويت: جامعة الكويت .
5. حنيفي ، ج. (2006). يورغن هابرماس من الحداثة إلى المعقولية التواصلية. الجزائر: الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية .
6. غريب، م. (2018). البيوإتيقا بين البيوتقنية والمبادئ الإتيقية. الجزائر ، بيروت: إبن النديم للنشر والتوزيع،دار الروافد الثقافية.
7. الخوني ، ح. (2009). كونية الإتيقا من كانط إلى هابرماس وآبل. أوراق فلسفية –مصر–، (23).
8. يورغن ، هـ. (2010). إتيقا المناقشة ومسألة الحقيقة. بيروت، الجزائر: الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الإختلاف.
9. الشيخ /الطائري، م. /. ي. (1996). مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة حوارات منتقات من الفكر الألماني المعاصر. بيروت: دار الطليعة للنشر والتوزيع، .
10. بومسهولي ، ع. ا. (2009). نهاية الأخلاق أو الإنعطاف نحو المبدأ الإتيقي المحايث. المغرب: دار الحرف للنشر والتوزيع،.
11. المحمداوي، ع. ع. (2011). الإشكالية السياسية للحداثة من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل هابرماس أنموذجا،. الجزائر ، الرباط : منشورات الإختلاف، دار الأمان .
12. الغابري، س. (2016). ، المسألة الإتيقية من خلال كتاب بول ريكور عين الذات غيرا. عمان: دار الخليج للنشر والتوزيع.
13. Apel, K. O. (1996). , discussionet responsabilité01, l'éthique après kant. paris: , les éditions de cref ,.
14. آبل، ك. أ. (2015). التفكير مع هابرماس ضد هابرماس. بيروت، الجزائر، الدار البيضاء.: الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الإختلاف، المركز الثقافي العربي، .
15. apel , karl otto. (1996). sellected essay volume tow : Ethics and theory of rationality. U.S.A: library of congress calaloging .
16. بكاي، م. (2017). مابعد الحداثة رهانات الذّات الإنسانية: من سطوة الإنغلاق إلى إقرار الإنعتاق. بيروت، كندا: دار الرافدين، opus publishers، .
17. بليمان ، ع. (2009). الأخلاق المعاصرة وصراع المرجعيات، بين الكانطين الجدد والأرسطيين الجدد. مجلة أوراق فلسفية ، مصر ، (36).
18. ريس ، ر. (2009). أخلاقية النقاش عند كارل أوتو آبل. مجلةأوراق فلسفية، مصر، (23).
19. apel , karl otto. (2010). la transformation de la philosophie 02. paris: les édition du cref.
20. بن مصطفى حشانة ، م. (2009). إتيقا الخطاب والمسؤولية بين التأسيس المتعالي والتطبيق العملي. أوراق فلسفية ، مصر، (23).